الشناقطة والجهود المعجمية في تعريب الألفاظ الصنهاجية
(وقفات مع التداخل اللساني في الشعر الموريتاني)

د. محمذن بن أحمد بن المحبوبي
رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها
المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية - نواكشوط – موريتانيا

ما من شك في أن حضور تعريب الألفاظ الصنهاجية[1]. لدى الشناقطة أمر لافت للنظر ومسترع للانتباه، وذلك لكثرتها وتنوعها وشيوعها، لا في أسماء الأماكن والأعلام فحسب، بل وفي الأوساط العلمية والمدونات الشعرية كذلك.

ولعل مرد ذلك – والعلم عند الله – إلى قوة بصمات الجَهد المرابطي وعمق تأثيرات العهد الحساني[2]، فإذا كان الأول أعقب في النفوس إسلاما راسخا ومنيعا فإن الثانيَ أورث القوم تعرّبا، فتواشج الجهدان في ثنائي مرن حفظ للبلد هويته وأصالته وزاد من قوة التمسك بالدين والجذور، ومن شدة التشبث باللغة والأصول.

وبذلك أصبح موضوع التعرّب في الأوساط الشنقيطية مدارَ التحدث ومناطَ القصد؛ فأمره باعث على التعجب، مثير للدهش، يحتاج إلى دراسات معمقة تستفيد من علوم اللسان والاجتماع والتاريخ خاصة في نقاط التقائها وتقاطعها، عسى أن يعين ذلك على فهم خصوصيات هذا الحدث الحضاري الذي تم دون أي دخل للإرادة السياسية الحاكمة، فامّحت معه الذاتية الثقافية غيرُ العربية في جو من العفوية والانسياب غريب دعا بعض الباحثين إلى تسمية ذلك الحدث تعرّبا لا تعريبا[3].

فماذا عن جهود القوم في التعريب بعد أن تعربوا وأشربوا في قلوبهم الفصاحة والبيان؟ وما الأسس التي انطلقوا منها في تهذيب العبارات والألفاظ وفي تيسير أسماء الأماكن والبلدان؟ وهل استطاعوا أن يطوّعوا الألفاظ الصنهاجية لصالح الفصحى حتى تنسجم مع ما لها من صيغ وأساليب منتظمة في إيقاعها ومندغمة في أبنيتها سواء عن طريق الملاءمة

---

[1] - مقصودنا من الألفاظ الصنهاجية هنا هو ألفاظ اللهجة الصنهاجية التي كانت منطوقة قديما في بعض مناطق الوطن الشنقيطي والتي يبدو أنها انقرضت فلم يبق منها سوى رواسب يسيرة في اللهجة الحسانية، فالصنهاجية على مستوى العنوان عام أريد به خاص، فكل ما وردت كلمة الصنهاجية أو الصنهاجي في تضاعيف النص فالمقصود بها اللغة الصنهاجية.

[2] - نقصد به الفترة التي عرفت سيطرة إمارة بني حسان على البلاد. وتمتد من القرن الثامن الهجري حتى فترة الاحتلال الأجنبي للبلاد في مطلع القرن الرابع عشرهجري.

[3] - الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: د أحمد بن الحسن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط 1 1995 ليبيا، ص 72.

والتكييف أو من خلال الترجمة والنقل؟ وفي الأخير كيف تمكن الشعراء من تطعيم إبداعاتهم الشعرية ببعض الألفاظ الصنهاجية دون مساس بروعة النص وجماله؟

ذلك ما نسعى إلى الإجابة عنه من خلال ثلاثة محاور أساسية تخصص أولها للأسس والمنطلقات، ونمحّض ثانيها لتجليات الترجمة على مستوى الوحدات المعجمية في النصوص الشعرية، ونكرس ثالثها لمحاورة التعابير الصنهاجية التي وردت إيداما للشعر وعمادا القريض.

أولا: الأسس والمنطلقات

وضمن هذا المحور سنعرض لنقطتين أولاهما تعنى بمناقشة هذا العنوان واستنطاقه، وثانيتها تهتم بتأصيل الموضوع واستنباته، عاملة على تأصيله، في ثقافة الشنقيطية مع التنبيه إلى ما له من جاهة وثبات.

أ. العنوان مناقشة وتحليل

يتألف عنوان هذا الموضوع من ثلاثة مكونات تعبيرية أولها اسم علم مجموع "الشناقطة" وثانيها تركيب نعتي "الجهود المعجمية" وثالثها تركيب إضافي معزز بنعت "تعريب الألفاظ الصنهاجية" وقد التحمت وحدات هذا العنوان واتسقت من خلال أداة العطف "و" وحرف الجر "في" اللذين أفادا إحكام الربط وقوة التنسيق.أما أول المكونات فالشناقطة وهي جمع شنقيطي نسبة إلى مدينة شنقيط التي كانت علما على المجال الجغرافي المعروف اليوم بموريتانيا، و ثاني المركبات "الجهود المعجمية" فالجهود جمع جهد وهو وبالضم الطاقة، والمعجمية مصدر صناعي مؤلف من كلمة معجم "وياء النسبة معها تاء" فالمعجم يطلق على الكتاب الذي يتناول مفردات اللغة ويرتبها ترتيبا معينا مبينا معانيها وأصولها واشتقاقاتها، وطريقة نطقها، كما يطلق على المرجع المتخصص الذي يحوي المصطلحات والتعبيرات والتراكيب التي تدور في فن بعينه، أو تخصص بذاته، أو مجال محدد كالطب واللسانيات والأدب والفلسفة والاقتصاد والجغرافيا[4].

وقد عرف بعضهم المعجم بأنه « كتاب يضم مفردات اللغة أو يضم طائفة منها مرتبة ترتيبا خاصا، كل مفردة منها مصحوبة ما يرادفها، ويفسرها ويشرح معناها ويبين أصلها واشتقاقها، واستعمالاتها، ويوضح طريقة نطقها، ويذكر ما يناظرها ويقابل معناها في لغة أخرى»[5].

وترجع كلمة معجم إلى قولنا أعجم الكتاب وعجمه نقطه، وأعجمت الكتابه أزلت إبهامه واستعجامه، والأعجم الذي لايفصح ولا يبين كلامه، وإن كان عربي النسب، وحروف

[4]- فتح الله سليمان، دراسات في علم اللغة، الآفاق العربية 2008 القاهرة ص 59.
[5]- أحمد محمد المعيوف، المعاجم اللغوية العربية، المجمع الثقافي الإمارات أبو ظبي 1999 ص 19.

المعجم هي الحروف الهجائية، ومن هنا سمي الكتاب الذي يجمع مفردات اللغة بترتيب معين مبرزا دلالتها واستخداماتها المختلفة، معجما إما لأنه مرتب على حروف المعجم وإما لأنه قد أزيل عنه كل إبهام وغموض، فهو معجم مفعل على زنة إسم المفعول، فكأنه مزال ما فيه من الغموض والإبهام[6].

ولا بأس أن نفرق هنا بين علم المعجم (Lexicology) وبين صناعة المعاجم (Lexicography)، فالأول يعنى بتحديد دلالة الألفاظ وتوضيح التعريفات المختلفة للوحدات المعجمية نشأة وتطورا وتاريخا.

أما ثالث التراكيب "تعريب الألفاظ الصنهاجية" فيتألف من ثلاث كلمات أولها التعريب وهو: أن تتفوه العرب باللفظ على منهاجها" تقول عربته العرب وأعربته أيضا، وأعرب الأغتم وعرب لسانه بالضم عروبة أي صار عربيا وتعرب واستعرب أفصح".[7].

والألفاظ جمع لفظ وهو مصدر لفظ بالشيء يلفظ لفظا إذا رمى به واللفظ في الاصطلاح يعني مجموعة من الاصوات الانسانية أفادت أم لم تفد. والصنهاجية نسبة إلى الصنهاجي وهو غير العربي. ومقصودنا من الألفاظ الصنهاجية هنا الكلمات الصنهاجية على وجه الخصوص، فكلمة الصنهاجية هنا عام أريد به خاص. وهو الصنهاجية التي كانت في العهود الغابرة منطوقة في بعض المناطق الشنقيطية وقد تحدث عنها صاحب الوسيط معرفا بها ومقارنا بينها، وبين اللغات القريبة منها وسائقا ما علق بذاكرته من قواعدها العامة، منتهيا إلى أنها "نوع من أنواع الأمازيغية المغربية وهو موافق للسان الشلحي، ويختلف عنه اختلافا قليلا(...) ولا أعلم من قواعده إلا أن المؤنث تكون التاء منه في أوله، ومثال ذلك:

المذكر	المؤنث
أغربظ (الطفل)	التاغربظ (الطفلة)
أجم (الجمل)	تجم (الناقة)
آجل (الحمار)	التاجل (الأتان)[8]

والمراد من العنوان جملة هو البحث عن ما خلف الشناقطة من تراث لغوي يثري المعجم العربي ويدفع بتطور الشعر العربي ويزيد مخزون المتكلم والمتعلم. من خلال تعريب الألفاظ سواء عن طريق الملاءمة والتكييف للصيغ والمباني أو من خلال الترجمة والنقل للدلالات والمعاني، توسيعا للفصيح وتنويعا في أساليب الشعر وأبنيته.

---

[6]- المرجع السابق والصفحة.

[7] - ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت دون تاريخ ، مادة عرب

[8]- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة السادسة 2008، ص 512-513.

ب. الموضوع مقاربة وتأصيل :

يحسن بنا في هذا المقام أن نفرق بين مصطلحي التعرب والتعريب، فالتعريب كما تقدم مصدر لفعل عرب الكلمة يعربها تعريبا إذا أدخلها في أبنية اللسان العربي وصيغه، وتعريب الاسم الصنهاجي "أن تتفوه به العرب على منهاجها كما تقدم أما التعرب في المفهوم الحضاري فهو "حلول" اللغة العربية وثقافتها محل غيرهما من اللغات والثقافات باستعمال العربية في مستوياتها المختلفة- فصيحة وعامية – أداة تعبير عن حياة الجماعة، وبتعاطي نخبة المجتمع ثقافة عربية إسلامية عالمة[9].

وتجدر الإشارة أن هذا التعرب الذي عرفته البلاد الشنقيطية تم بعد دخول بني حسان إلى المنطقة هو امتداد لتعرب بلاد المغرب الكبير، بفعل الهجرة الهلالية، وإن جاء متأخرا عنها في الزمان تبعا لموقع بلاد شنقيط في المكان[10].

والبحوث القليلة التي تناولت الموضوع أشارت إلى أن تعرب بلاد شنقيط قد ارتبط عظيم الارتباط بسيطرة بني حسان، وهو أمر لا مراء فيه، فقد عولت البحوث المذكورة في تفسرها لهذا الحدث على عدة أسباب مركزة على اثنين هما الدافع الديني والدافع الاجتماعي ، أما الديني فيتجلى في إكبار العرب ولإقتداء بهم والتنويه بمكانتهم، وهو ملازم لاعتناق الإسلام ومترسخ برسوخ ثقافته.

وأما الاجتماعي فهو المتعلق بدلالة العروبة، ثقافة وحضارة على النبل والعزة. ومن أبرز خصائص هذا التعرب ظاهرة الشمول والعفوية، إذ عم المنطقة بأسرها ووقع دون أي أثر للإرادة السياسية الحاكمة فضلا عن الضغط والإكراه، وهو ما دعى باحثين كثيرين إلى اعتباره تعربا لا تعريبا، فالأول يحيل على الطوعية والمطاوعة والتلقائية والانسياب، أما الثاني فإنه يشير إلى بذل الجهد والتضحية والمعالجة.

ويمكن أن نتحدث عن مستويين من حضور هذا التعرب في البلاد، أولهما تعرب لغوي عام ونعني به انتشار اللغة العربية العامية (الحسانية) بين جميع سكان البلاد أميين كانوا أو متعلمين، وثانيهما تعرب ثقافي خاص ونعني به جهود النخبة العالمة في التمكين لهذا اللسان سعيا إلى ترسيخ المعارف العربية الاسلامية بين حملة العلم والثقافة من أبناء المنطقة وربطهم بالموروث العربي الإسلامي تاريخا وحضارة وفكرا.

1- تعرب الطبقة العامة:

ونقصد به التعرب اللغوي العام الذي عرفته المنطقة، ولكن يحسن بنا أن نذكر في هذا المقام بأن اللغة العربية قد دخلت إلى البلاد مع دخول الإسلام في حدود سنة 116هـ، وقد صحب ذلك اطلاع النخبة المثقفة من المجتمع الصنهاجي المسلم على اللغة العربية، فقد كانت

[9]- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مرجع سابق، ص 73.
[10]- المرجع السابق ص 74.

تأخذ منها بحظ ما. غير أن الإشارات التاريخية المتوفرة لا تفيد أن هذه اللغة قد تجاوزت مستوى النخبة إلى ميدان المعارف الدينية، فبقي السواد الأعظم من السكان يتكلم لغة آبائه، وهو ما أكده، الرحالة البرتغاليون الذين اتصلوا بسكان المجال الشنقيطي في تلك الفترة، حيث صرحوا أن أبناء المنطقة، كانوا يتكلمون لهجة بربرية متميزة[11].

وثم قرائن أخرى قد يفهم منها "أن سكان" هذا المجال كانوا يتكلمون لغتين، إحداهما الصنهاجية – وهي لغة بربرية – والثانية الأزيرية وهي لغة مركبة من بربرية وزنجية[12]. وقد حلت محل هاتين اللغتين بالتدرج اللغة الحسانية، وهي العامية العربية التي كانت تتكلمها قبائل بني حسان، حتى تناسى أكثر سكان البلاد أن أسلافهم كانوا تكلموا غيرها، وأصبحت في البلاد على حد تعبير صاحب الوسيط "اللسان العام"[13].

ويرجع الدكتور أحمدُ بن الحسن منطلق هذا التعرب إلى السيطرة الحسانية (ق8هـ - ق 14م) منبها إلى أنه قد تم بنسق متفاوت من منطقة لأخرى وأحيانا من قبيلة لأخرى في نفس المنطقة، منتهيا إلى أن بعض القبائل ما تزال إلى عهده تتكلم الصنهاجية إلى جانب الحسانية، ممثلة بقايا من حالة الازدواج اللغوي التي عاشتها طوائف كثيرة من السكان عبر تاريخ المنطقة[14].

ويسهل على الباحث تعليل هذا التعرب اللغوي من عدة أوجه لعل من أبرزها: أن سكان بلاد شنقيط قد وجدوا في الحسانية مستوى من العربية منطوقا دخل بيوتهم وعبر عن حياتهم اليومية، بعد أن كانت عربية المتون والشروح منحصرة في النخبة المثقفة[15] وهو ما عبر عنه الشيخ اليدالي[16] أحسن تعبير، جاعلا من اللهجة الحسانية قناة التحول وجسر العبور إلى الفصحى حيث يقول: «إن الحسانية هي القنطرة لأهل هذا العهد إلى العربية»[17].

2- تعرب الطبقة الخاصة:

ونعني به ترسخ تقاليد المعارف العربية الإسلامية بين صفوف أبناء المنطقة وانتمائهم إلى العروبة لغة وحضارة. وما من شك في أن فئات معينة من أهل البلاد كانت قبل العصر الحساني تضرب بسهم من الثقافة العربية الإسلامية وخاصة سكان مدن التجارة الصحراوية

---

[11] المرجع السابق ص 75.

[12]- المرجع السابق والصفحة

[13]- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط مرجع سابق ص 512.

[14]- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: مرجع سابق ص 76.

[15]- المرجع السابق والصفحة.

[16]- هو محمد بن سعيد اليدالي (1096هـ - 1166هـ) عالم جليل وشاعر بارز ومؤلف متفنن، يعد من أبرز رواد الحركة التأليفية في البلاد له مؤلفات منها: الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، وفرائد الفوائد في علم العقائد، وحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى، وخاتمة التصوف وشيم الزوايا، بالإضافة إلى ديوان شعري محقق.

[17]- محمد اليدالي: كتاب الجيم مخطوطة الراحل بن أحمد سالم.

كوادان وولاتة وتيشيت، إلا أنه لم تبق من هذه الحياة الثقافية آثار تسمح بتبين ملامحها أو تعريف أعلامها[18].

ويذهب معظم الباحثين إلى أن بلاد شنقيط عرفت ابتداء من القرن 10هـ و16م، ازدهارا ثقافيا تجلى في انتشار مدارس العلم، وتزايد عدد الكتب المستوردة، وظهور التأليف المحلي شارحا أعمال السابقين أو مستقلا عنها. وقد صحب ذلك انتشار المعرفة بين صفوف بعض أبناء المنطقة حتى كادت الأمية أن تنعدم بينهم.

والقارئ لمصادر التاريخ الثقافي للبلاد يفهم في غير عناء أن المتون الثقافية والمقررات المحظرية المتداولة كانت في معظمها امتدادا للثقافة العربية الإسلامية، كما كرستها السنة المغربية الأندلسية من أشعرية سنوسية في العقائد ومالكية خليلية في الفقه، وبصرية بنمالكية في النحو، وسيوطية قزوينية في البلاغة وشاطبية دانية في علوم القرآن وشنتمرية غيلانية في مفردات اللغة وألفاظها[19]. وبالجملة فإن هذه الثقافة الشنقيطية استمدت معارفها من رافدين أحدهما سوداني مصدره مدينة تيمبكتو وثانيهما مغربي ذو تأثيرين أولهما قادم من مدينة فاس مقر جامعة القرويين التي ظلت تشع من نورها على المناطق المجاورة رغم عوادي الزمن، وثانيهما منْطلقٌ من الزوايا المنتشرة في جنوب المغرب والتي كانت أقرب إلى بلاد شنقيط مكانا وتكوين سكان[20].

وقد اتخذ تعرب النخبة المثقفة أشكالا متزامنة، منها ما عول على التراث العربي ومنها ما اعتنى بتعريب الواقع الشنقيطي، أما الأول فمن أبرز مظاهره إحياء علم أنساب العرب وأيامها، فوضعوا في هذا العلم المتون المختصرة والموسوعات المعمقة غير مميزين بين جاهلية وإسلام، بل معتبرين الكل جزء من المعارف الواجب تحصيلها على كل مثقف.

أما تعريب الواقع فيتجلى في كثرة المؤلفات الشنقيطية، حيث تعددت الشروح والطرر، والحواشي والأنظام في مختلف حقول اللغة العربية نحوا وصرفا ومعجما وبلاغة، وانتشرت هذه المؤلفات في المحاظر انتشارا كبيرا دفع بالعلوم المحظرية شوطا بعيدا.

وقد تواشجت هذه العلوم اللغوية في ما بينها لتخرج شعرا رفيعا، فكانت الرافد الذي جعل القريض ينموا بسرعة ويستوى على سوقه ممتدا على إلى كل البيئات فسعى الشعراء جهدهم إلى تعريب الألفاظ الصنهاجية بكل الوسائل فتارة يخضعها للأبنية الفصحى، وفي أحايين أخرى يسعون إلى ترجمتها ونقل دلالاتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التعريب بدأ في وقت مبكر في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، مع عدد من الشعراء من بينهم ألما بن المصطفى[21] ومحمد اليدالي[22] وابن رازكه[23]

---

[18]- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: مرجع سابق ص 77.

[19]- نقصد هنا بالشنتمرية ديوان الشعراء الست الذي كان من اختيارات الأعلم الشنتمري، وهو يعد من أبرز المقررات المحظرية في الدرس المعجمي، أما الغيلانية فنقصد بها ديوان غيلان.

[20]- المرجع السابق ص 78.

[21]- هو ألما بن المصطفى بن محم سعيد اليدالي المعروف بألما العربي لفصاحته وتمكنه من القريض وقوة سليقته، وتميز

والمصطفى بوفمين[24] وظل ينموا ويتطور مع مرور الزمن ليعرف بعض نضجه مع الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا[25]، الذي سعى في يائيته الإحيائية إلى تهذيب الألفاظ الصنهاجية مكثرا في فاتحتها، من أدوات العطف،استمالة للقلوب وعطفا للأفئدة على تلك الربوع، وقد زاوج في تعريبه للألفاظ بين تكييفها مع البنيات الفصيحة وبين ترجمتها، ففي المستوى الأول، اكتفى بالتصرف في بنية الكلمة الصنهاجية ليتم التلائم مع البناء الصرفي والنغم العروضي في الفصحى، كما في كلمات (أوكار، الكنايا، فايا، التماشن، أيدمات) وفي المستوى الثاني ترجمت كلمة (تامرزكيت) بذات اليمن، و(علب أولاد أمبارك) بنجد المبارك، و(علب النص) بنجد نصف، و(علب الصرب) بذي السرايا، وغير بني ذلك يقول[26]:

على دوران "أوكار" التحايا	تواصل بالغدايا والعشايا
بـ"ذات اليمن" فالأنقاء منها	فـ"نجد بني المبارك" فـ"الكنايا"
إلى "تل الحبار" فـ"نجد نصف"	إلى جرعاوي الأرطى فـ"فايا"
فـ"بيضاء التماشن" فـ"الروابي"	روابي "التوأمات" فـ"ذي السرايا"
إلى هضب السيال" فـ"أيدمات"	معاهد حبهن لنا سيجايا
وخرناها لنا دون الأراضي	وخارتنا لها دون البرايا
فلا أبغي بها بلدا سواها	ولاهي تبتغي أحدا سوايا

طريقته، وهو شاعر مجيد ضاع معظم ديوانه، وقد أخذ عن ابن عمه الشيخ محمد اليدالي (1166هـ) كما يذكر أنه أخذ عن ألفغ بن المختار بابُ، وكان ساعد محمد اليدالي ومساعده في كثير من مواقفه السياسية والثقافية.

[22]- هو محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي (1096-1166هـ) عالم جليل، كان شيخ محظرة وإمام حضرة صوفية عرف بمحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، يعد من رواد التأليف في البلاد الموريتانية، له مؤلفات من أبرزها الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خيرى الورى، وفرائد الفوائد، وشيم الزوايا، وأمر الولي ناصر الدين، بالإضافة إلى ديوان شعري محقق.

[23]- هو سيدي عبد الله بن محم العلوي المعروف بابن رازكه (ت1144هـ) عالم جليل، وشاعر متميز، يعد من رواد الحركة الشعرية في البلاد ومن أساطين الثقافة العربية الإسلامية كذلك. له ديوان شعري مطبوع، ومنظومة في البلاغة ومؤلفات أخرى.

[24]- هو المصطفى بن أبي أحمد المجلسي (1200هـ) شاعر هجاء، له ديوان شعري معظمه من المقطعات.

[25]- هو الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا (1247-1286هـ) عالم جليل وشاعر متمكن وناقد ماهر، نشأ في حضرة أبيه التي امتازت بالجمع بين السلطتين السياسية والدينية، له مؤلفات منها رسالة في الرقائق الصوفية بعنوان الحسنة بين السيئتين، ومجموعة من الفتاوى، ومجموعة أخرى من الأنظام بالإضافة إلى ديوان شعري ضخم محقق يربو على الألفين من الأبيات.

[26]- انظر ديوان الشيخ سيد محمد: تحقيق عبد الله ولد سيديا والناجي فال بن أمحيحم المدرسة العليا للتعليم 1984م. ص108.

ويتواصل هذا الجهد في القرن الرابع عشر مع المختار بن جنكي[27] الذي عني كثيرا بتعريب الأماكن في منظومته المعروفة بالمدافن الشمشوية[28]، فترجم "انتوفكت" بذات الشمس كما في قوله[29]:

ومن يرد لشمس دهره نظر يلح له شرقي ريع ذي القمر

بقرب ذي الشمس وحوله بدور طالعة سعيدة به تدرو

أعني به محمد اليدالي أدام ربي به الجدا لي[30]

كما ترجم "اغنجبرت" ببئر القدم في قوله[31]:

وأمه "انبيكله" بنت العلم سيد الأمين زر لدى بير القدم

وترجم أيضا "وتن الضبج" بذات الطبل كما في قوله [32]:

ثم الأمين في المحل السهل برأي عين جوف ذات الطبل

وترجم كذلك "إنجيه" بريع الفيل في قوله[33]:

ثمة أواه سنى القبيل لدى المنار فوق ريع الفيل

وترجم كذلك "تمغرت" ببير العجوز كما في قوله[34]:

ومثل بازيد في الاوليا يعوز مدفنه اليسار من بير العجوز

---

[27]- هو المختار بن جنكي (1252-1321هـ) عالم جليل، وشيخ محظرة، أخذ عن والدته القرآن وسمع من باب بن حمدي الحاجي، وجلس إلى دروس كل من محمد بن زيادنا وأبو بكر بن الإمام، والمختار بن ألما اليداليين، وتخرج من مدرسته كل من محمد (ميمين) بن المحبوبي، وزين العابدين بن اجّمد، وأخوه أحمد، من أهم مؤلفاته: "نظم المدافن الشمشوية، ونظم في أسرة محمد اليدالي، ونظم في أخلاق بني ديمان، بالإضافة إلى ديوان شعري.

[28]- المدافن الشمشوية نسبة إلى تشمشه وهم تجمع خماسي يضم خمس قبائل هي: بني ديمان، وإدوداي، وإجاتفاغ، وإديقب، وأهل باركلل، وإدكيهنّ، والمدافن الشمشوية هنا عبارة عن منظومة تتبع ضمنها الرجل مدافن العلماء والأولياء المنتسبين لهذه المجموعة والذين دفنوا في منطقة إكيدي بالجنوب الغربي من موريتانيا، وقد حدد في منظومته اسم كل مدفن وموضعه، والمنظومة تقع في مائة وإحدى وثلاثون بيتا وقد حققها الأستاذ الأمير بن آكاه.

[29] - مخطوط بحوزتنا.

[30] - مخطوط بحوزتنا.

[31] - المخطوط السابق.

[32] - المخطوط السابق.

[33] - المخطوط السابق.

[34] - المخطوط السابق.

كما ترجم أيضا كلمة "انتوطفين" بذات النمل، ضمن قوله:[35]

ثم ابنه محمد ذو الفضل صلت عليه البير ذات النمل

وأكثر من ذلك كما أبدع لامية عول ضمنها أيضا على تعريب الأماكن مراوحا بين الترجمة والتفصيح. وقد استهلها مجردا من نفسه مخاطبا يلتمس منه قراءة السلام على المنازل مسترجعا عهودها القديمة، ومكفكفا بسببها الدموع المهراقة، معددا إثر ذلك جملة من تلك الأماكن. يقول[36]:

ألا حي الطلول بـ"ذي السيال وكفكف غرب مدمعك المذال

وإن عيت فلن ترجع جوابا وصم صدى مرابعها الخوالي

وآلت بعد مسكنها الغواني مساكن للظباء وللرئال

وبـ"انهماذ" من ليلاك مغنى جميلا صار مسلوب الجمال

وربعا من أميمة قد عفاه لدى "بلشان" ترداد الشمال

ومن "بير الوئام" بدت رسوم تهيج هوى الشجي بعد اندمال

ومغنى "المالكية" حي واربع بربع بـ"الغدير" فـ" نجد فال"[37]

مغاني "انبمب" مهما يسلوا عنها أسير هوى فإني غير سال[38]

ولا تقبل لعينك إن تبدت لها دور "المنار" سوى انهمال

وعار صون دمعك عند ربع بـ "بير الشمس" أو بير الهلال"[39]

---

35 - مخطوط بحوزتنا.

36- مخطوط بحوزتنا

37- في هذا البيت يترجم كلمة "تنجغماجك" الصنهاجية بـ"لفظة المالكية" كما يترجم "الملزم" الحسانية بالغدير، و"اربق فال" الحسانية بنجد فال.

38- انبنب فصحها حتى تنسجم مع السياق العربي الفصيح.

39- في هذا البيت يترجم "انتوفكت" المذكورة سابقا ببير الشمس، ويترجم "بوقمره" ببير الهلال.

ومغنى لاح بـ"الجما" ومغنى "تلال النصف" من بين التلال[40]

"وتندكسم" إن تمرر عليها فقض حقوق أربعها البوالي

ألا فاخلع عذار الجفن فيها ودر بين الأباطح والرمال

فذي الأطلال تبدوا كاللآلي أو الأيام من بين الليالي

ثانيا:الألفاظ الصنهاجية على مستوى الواحدات المعجمية

وخلال هذا المحور سنعرض لنقطتين، أولاهما تستعرض جملة من النصوص الشعرية عمل أصحابها على تكييف ما ورد بها من الألفاظ الصنهاجية مع البنيات النحوية والصرفية في الفصحى، ليسهل التحامها بها وانسجامها معها لغويا وعروضيا. أما النقطة الثانية فإنها تعنى بتتبع مجموعة من النصوص سعى أصحابها إلى ترجمة الكلمات الصنهاجية ونقل مضامينها ودلالاتها إلى الفصحى، دون إيرادها باللفظ رغبة في انسجامها مع البنيات التركيبية والموسيقية للغة العربية.

1. الألفاظ الصنهاجية ملاءمة وتكييف:

وفي هذا الجانب سنعرض لبعض الألفاظ الصنهاجية التي وردت في نصوص شعرية فصيحة وعمل أصحابها على تكييفها مع البنيات التركيبية والموسيقية للفصحى، حتى تنسجم مع أساليبها انسجاما كاملا، ولعل من أقدم هذه الاستعمالات كلمة "إدوارن" بمعنى "إدوعل" وقد وردت ضمن بيتين للعلامة سيد عبد الله بن محم المعروف بابن رازكة[41] أبرز ضمنهما مكانة ذويه المتميزة مصرحا أنهم علية القوم وبيت القصيد، ومحسنا كذلك الرد على من تروم التطاول عليه، يقول[42]:

لقد شمخت أنفا علينا خديجة وقالت بآزار لها إدوارن[43]

ونحن الأنوف الشامخات على الورى تقاصر عنا كل أنف ومارن[44]

---

[40]- في هذا البيت يترجم كلمة "اتويكميط" الصنهاجية بـ"الجماء" وقد قصرها هنا للوزن.

[41]- تقدمت ترجمته

[42]- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط أحمد بن الأمين الشنقيطي، مرجع سابق ص 511.

[43]- في هذا البيت كلمة آزار وهي تحريف لكلمة آزير وتعنى وهي تشير إلى لغة كانت منطوقة قديما في الأراضي الشنقيطية، وهي مزيج من الأمازيغية والسونوكية. وكلمة إدوارن الواردة في آخر البيت تعني إدوعل بهذه وهي قبيلة معروفة في موريتانيا ذات مكانة سياسية وثقافية واجتماعية مرموقة.

[44]- كلمة الأنوف رواها صاحب الوسيط بالنصب وقال إنها منصوبة على الاختصاص كما سمع من بعض العلماء المبرزين.

ومن الأمثلة على هذا النموذج كلمة "زنكت" الواردة في قول أحد الشعراء، ومعناها جعلت حبلا في رأس الثور بطريقة معينة لتستعين على قيادته وتوجيهه أنّى أرادت، يقول الشاعر[45]:

زنكت مريم للرحيل ثيارها وبقيت تندب في الديار ديارها

فاصبر رجيل على البكا وعلى الأسى أموية قد يممت كنارها[46]

وقد وردت أيضا لفظة "تنياشل" في أبيات لمحمد ولد الطلبه اليعقوبي[47]، و"تنياشل" تترجم إلى الفصحى بـ"ذات الحي" وهي منهل معروف، وقد حافظ في نصه على صيغة اللفظ الصنهاجي مكتفيا بتكييفه يسيرا حتى ينسجم مع الوزن والروي ويندغم في نسيج الفصحى وبنياتها التركيبية، يقول[48]:

ألا حي دورا بـ"تنياشل" عفت غير آريها الماثل

منازل هيجن ما لم تهج منازل "ماويّ" بالحائل

فلو كنت أبكي لشيء مضى بكيت على دهرها الزائل

ومن أمثلة هذا النوع كذلك ورود كلمة "ورتكف" في أحد نصوص الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الإنتشائي[49] وهي علم على بئر معروفة، والطريف لديه أنه شرح معنى هذه الكلمة في أبياته مصرحا أن دلالتها في اللغة الصنهاجية "لا تخف" يقول[50]:

وقد جاءنا أن السواحل أمطرت فما بقعة منها سوى روضة غنا

وفينا من ان يذكر له "نعم ساحل" يحنّ كما سقب إلى أمه حنا[51]

---

45 - مقابلة مع الشيخ محمدن ولد محمد فال بتاريخ:2011/03/10

46 - كنار: كلمة ولفية ويطلقونها على البادية الموريتانية والمقصود أنها توجهت إلى منازلها ومرابعها التي كانت تقطن بها.

47 - محمد بن الطلبه اليعقوبي (ت 1856 -1272هـ) عالم وشاعر، من أبرز رواد النهضة الشعرية في بلاد شنقيط؛ فقد عمل في نصوصه الشعرية على إحياء النماذج القديمة ومعارضتها، له نظم في النحو عقد به تسهيل ابن مالك، بالإضافة إلى ديوان شعري محقق.

48 - انظر الجغرافيا، المختار بن حامد والديوان

49 - هو الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الإنتشائي (1247-1286هـ) عالم جليل، وشاعر متميز، وناقد متبصر، عاش في حضرة أبيه فاكتسب علما جما واستفاد من تلاميذ والده، له مؤلفات منها رسالة بعنوان: "الحسنة بين السيئتين"، وهي من الرقائق الصوفية، ومجموعة من الفتاوى بالغة الأهمية، ومجموعة من الأنظام، وبعض الرسائل، بالإضافة إلى ديوان شعري تربوا أبياته على الألفين.

50 - موسوعة المختار بن حامد، الجزء الجغرافي، ص:189

وكنا هممنا أن نقدم رائدا يجيء بخبر الابتداء الذي رمنا

فإن تأمرونا بالرحيل فأمركم متى يأت في شيء يكن فاعلا أغنى[52]

وإن كان في أرض "السواحل" عندكم صواب على وشك إليها ترحلنا

وإلا يكن فيها صواب لديكم أقمنا بجنب "العرش" أو جنب تفظنا"

ونحفر "ورتكف" ومعناه لا تخف فإن بهذا الفأل منه لنا أمنا

ولا ننسى أن نورد في هذا المقام بيتين للعلامة امحمد بن أحمد يوره[53] استودعها لفظ: "الوجظ" وهو في الصنهاجية يطلق على الديك، فالبيتان يعيدان الاعتبار إلى ربع مندرس عهد الرجل به الأنس والسرور وألف بساحته المؤانسة والإمتاع، يقول[54]:

ربع من الحي بالميمون "منتفظ" خلى المدامع من عينيك "تنكظظ"

فكم سهرت به ليلا على طرب بين الملاح إلى أن أذن "الوجظ"

وفي هذا السياق تندرج أبيات البشير بن امباركي البهناوي[55] التي أورد ضمنها كلمة "تاسفره" وهي كلمة أعجمية بمعنى الوعاء، وقد دخلت نسيج الحسانية فأصبحت من الكلمات المتداولة فيها، وفي الأبيات كلمات حسانية مثل "مزاود"، و"الشطنة"، و"دراعه"، والأبيات في الجملة تعرض لأهمية التعلم والتضحية في سبيله استنهاضا للهمم ودفعا للعزائم ونصحا للطلبة بالعكوف على التعلم، والتسابق إلى حلقات الدرس مهما كلف الأمر من ثمن، في نهج يعتمد الجد والمصابرة والاجتهاد، بقوله[56]:

ليس التعلم موقوفا على النشب ولا بكثرة ما يساق للحلب

---

[51] - في هذا البيت تركيب ظاهره فصيح ومضمونه حساني، وهو "نعم ساحل" ومعناها خصب المناطق الساحلية المحاذية للمحيط الأطلسي.

[52]- يقصد فاعلا أغنى عن الخبر وهذا من توظيف المصطلحات النحوية.

[53] - هو امحمد بن أحمد يوره بن محمذن بن أحمد بن العاقل الأبهمي (1258-1340هـ) عالم جليل، وشاعر مجيد، وولي كامل، يعد رائد المدرسة الشعبية في البلاد، وهي المدرسة التي تمزج في إبداعها بين اللسانين الفصيح والشعبي. له منظومات في الأصول وفي الفقه، وله كتاب "إخبار الأحبار بأخبار الآبار"، بالإضافة إلى ديوان شعري.

[54] - نسخة من الديوان مرقونة، صفحة 39

[55] - البشير بن امباريكي البهناوي (1286-1354هـ) عالم جليل وشاعر مجيد، نشأ في بيت علم وفضل وصلاح، أخذ عن خاله أحمد بن حنبل، وعن محمذن بن محنض باب، وعن محمد فال (ببها) بن أحمد بن العاقل، صحب الشيخ سعد أبيه، وتتلمذ عليه، وكان من خاصته، له مؤلفات منها: معين الضعاف على ما أشار إليه خليل من الخلاف، ومنظومة ينصح بها ابنه محمد، وشرح على المقصور والممدود، ورحلة إلى الحج منظومة، بالإضافة إلى ديوان شعري محقق.

[56] - مخطوط بحوزتنا.

ولا بـ"دراعة" راقت خياطتها ولا بـ"تاسفرة" للوح والكتب

ولا "مزاود" زرع أنت تحملها فخرا فتنفقها في اللهو واللعب

هيهات هيهات لا تطمع به أبد دون التواضع والوقار والأدب

وهمة لا تزال الدهر تطلبه في حالة "الشطن" والأكدار والتعب

كما نعرض في هذا المحور لبيتين وردا على شكل محاورة شعرية دارت بين "افيطمات بنت جنكي"[57]، وبين أخيها أحمد بن اجمد[58]، حينما أرادت ترويضه على قرض الشعر فخاطبته لتشحذ منه الذهن، وتقدح منه القريحة، محرضة إياه على السرعة في المشي طيا للأرض واختزالا للمسافة ، كي يبلغوا وجهتهم التي إليها يقصدون قبل فوات الأون، فقالت[59]:

تهرول أيا زين إذا كنت قادرا على المشيء و"التهرويل" فالعرش "ييك"[60]

فأجابها الأخ متحدثا عن طول المسافة ومؤملا بلوغ الأهل مع الرواح، يقول[61]:

إذا نحن سرنا إلى "العرش" غدوة ورحنا إلى "آن" فإنا لـ"سبك"[62]

2. الألفاظ الصنهاجية ترجمة وتعريب:

وضمن هذا الجانب سنتلبث مع نصوص آثر أصحابها ترجمة مضامين الألفاظ الصنهاجية إلى الفصحى، ولم يتعبوا أنفسهم في إخضاعها للخصوصيات التركيبية

---

[57]- هي افيطمات بنت المختار بن جنكي من بيت علم وصلاح ، أبوها عالم جليل وشاعر وشيخ محظرة، وهذه المرأة لها نصيب من العلم ومشاركة في الشعر والسيرة النبوية.

[58]- هو أحمد بن محمذن بن اجمد اليدالي (1264هـ - 1354هـ) عالم جليل وشيخ محظرة اشتهر بأنظامه اللغوية الطريفة التي يضبط ضمنها الألفاظ في أساليب من التورية والجناس لطيفة. من أهم مؤلفاته منظومة معنى ومبنى ومجموعة من الأنظام بالإضافة إلى ديوان شعري.

[59]- مقابلة مع الأستاذ أبوه بن محمدن بن المحبوبي حفظه الله بتاريخ: 2004/03/27.

[60]- اتهرويل حسانية والفصيح الهرولة وهي الإسراع في المشي، و العرش، علم على بئر معروفة، وييك كلمة أعجمية بمعنى بعيد.

[61]- مخطوط بحوزتنا.

[62]- كلمة آن الواردة في البيت من الصنهاجية وهي بمعنى الخيام، وكلمة سبك حساني وأصلها فصيح ولعلها سبق، ودلالتها في الحسانية السرعة.

والموسيقية للفصحى، ومن أمثلة ذلك قول محمد بن أشفغنلل الأبييري[63] مترجما كلمة "بوتويريكه" بـ"ذو الطيس"، وهي بئر معروفة، يقول[64]:

تذكرت حيا قاطنين بذي الطيس هم ضيعوا نسكي كما ضيعوا كيسي

فيهم غزال فاتر الطرف لم يكن لسعد ولا تيم الرباب ولا قيس

فمن قاسه حسنا عفافا وبهجة بمعشوق قيس عده فاسد القيس

كما نجد محمد بن محمد المختار العلوي يتفق مع ابن جنكي المتقدم في ترجمته "انتوطفين" بذات النمل، حيث يقول[65]:

قل للذي يبتغي من كل إنسان مني المودة أو إدراك إحساني

أو كان يبغي يدا بيضاء يجعلها عندي ذخيرة أزمان فأزمان

سلني أخبرك عن ريا وجيرتها وعن ثمام بـ"ذات النمل" أو بان

ومن أمثلة هذا التوجه ترجمة يكوى الفاضلي[66] لـ"تينشيكل" بذات اليم حيث يقول[67]:

فما درة حمراء تعرض في رق ولا الذهب الإبريز ينشر من حق

بأحسن من إخناث بالأمس منظرا على جفر ذات اليم مغبرة تسقي

ونجد العلامة محمد بن أحمد يوره يترجم "ابير التورس" ببير السبيل، و"تكرمن" بالعجائز، حيث يقول[68]:

هذا العيال وإن طغى في فسقه من ذا الذي يسقيه إن لم تسقه

يا ربنا وإلهنا يا شاملا كل العباد برزقه وبرفقه

---

63 - هو محمد بن أشفغنلل الأبييري، عالم وشاعر، لم نتمكن من ترجمته ترجمة كاملة حتى الآن.

64 - موسوعة المختار بن حامدن، الجزء الجغرافي،

65 - موسوعة المختار، الجزء الجغرافي، مرجع سابق، ص:205

66 - هو محمد يكوى بن محمد بن أحمد ميلود الديماني الفاضلي (1230-1304هـ) شاعر مجيد، وعالم مشارك، أخذ عن خاله محمذن بن أحمد وعن جده لأم أحمد بن العاقل، له ديوان شعري وبعض المنظومات التوسلية.

67 - مخطوط بحوزتنا.

68 - الموسوعة الثقافية، المختار بن حامد، الجزء الجغرافي، مرجع سابق، ص:161

عجل على "ذي المزن" مزنا عاجلا "بير الطريق" طريقة من طرقه

وعلى "العجائز" تستهل كعابه فتنال حظا وافرا من ودقه

وفي بيتين آخرين يعرب لفظ "اندصد" بطريق الترجمة مطلقا عليه "بئرالطؤسوت" ومؤرخا في الوقت نفسه لوفاة كل من أحمد أكذا المختار[69]، والإمام عبد الواحد بن عاشر[70]، وبله[71] والفاضل بن الكوري[72]، وقد اعتمد في ذلك طريقة التأريخ بحساب الجمل ضمن أسلوب بديع يعتمد التورية فكلمة "شق" في فاتحة البيتين ترمز إلى تاريخ وفاة الأولين، وهو عام 1040هـ، وكلمة "شق" في البيت الثاني تحيل على وفاة الأخيرين وترمز لعام 1100 للهجرة يقول[73]:

"شم" برق ثاو لدى بئر الطسوت ومن سلا بأخراه عن دنياه عند سلا

وبل والفاضل بن الكولي "شق" بنا ذاك الرحيل للذي لله قد رحلا

ونقرأ لحامد بن بيدح الديماني[74] كذلك تعريبا لـ"أم اتوكدات" بذات الجداول، وهي أضاة مشهورة بجنوب "آمساكه" على الجنوب من مدينة أطار تحيط بها جبيلات صغيرة وهي منتزه معروف، وقد أورده الشاعر متحدثا عن الطريق التي مر بها وهو في رحلته إلى منتزه التمور بآدرار هو وركبه منبها إلى ارتفاع درجة الحرارة في تلك المناطق، يقول[75]:

ومالت لليمين وقد دهاها لهيب زمانها ودها الرجالا

للفح الوجه منه سموم قيظ بحر لا تطيق له انفتالا

إلى "ذات الجداول" قد حدتها عزائم لا ترى فيها انحلالا

---

[69]- هو أحمد اكذا المختار الألفغي (ت1040هـ) ولي ورجل صالح، روى عنه محمد اليدالي بواسطة بعض المعلومات المتعلقة بتاريخ منطقة الجنوب الغربي من موريتانيا، و"اكذ" صنهاجية بمعنى "ابن".

[70]- هو عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر، الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا، كان رحمه الله عالما عاملا، متفننا في علوم شتى، له معرفة بالقراءات وتوجيهها، وبالنحو والتفسير والإعراب والرسم والضبط وعلم الكلام، حج وجاهد واعتكف، وهو صاحب المنظومة المشهورة في فروع الفقه المالكي.

[71]- هو بله بن أحمد اكذ المختار المتقدم، لم نجد عنه كثيرا.

[72]- هو الفاضل بن الكوري بن سيد الفالي، الديماني الفاضلي، رجل علم وصلاح (1040هـ).

[73]- مخطوط بحوزتنا.

[74] - حامد بن المختار بن بيدح الديماني (1377هـ) فقه وعالم مشارك، وشاعر أخذ عن والده، له منظومة في مسألة المعية يذهب فيها مذهب التفويض، وله نظم عقد به تصوف نقاية السيوطي، وله ديوان شعري.

[75] - المرجع السابق، ص:208

ومن الترجمات التي يمكن أن تندرج في هذا السياق ترجمة "إفجارن" بالمبادئ في أبيات للبوه بن أسياد[76] يقول فيها:

ألا من لي وما أملي بخوصا تبلغني "المبادئ" فـ"الملوصا"

ديار للألى أمروا وأوصوا بما أمر الإله به وأوصى

ثالثا: الألفاظ الصنهاجية على مستوى البنيات التركيبة

وخلال هذا المحور سنعرض لمسألتين أولاهما تتلبث مع التعابير الصنهاجية بوصفها آلية أسلوبية عول عليها الشعراء في حقل الغزل والنسيب، وثانيتها تعرج على هذه التعابير الصنهاجية باعتبارها تسلية للنفس وترويحا عن الهموم.

1 – التعابير الصنهاجية تعمية وتلميح:

وفي هذا الجانب سنحاور جملة من النصوص ولعل من أبرزها نص محمد بن أحمد يوره الذي يتحدث ضمنه عن أزمة الوصال منبها إلى أنها إن لم تتم في بعض شهور السنة فقد تتم في بعضها الآخر. مذكرا أن فترة الشباب تعد فترة ذهبية في حياة الانسان لذلك فإنه غالبا ما يكثر الحنين إليها ويتمنى - في عبث – عودتها ورجوعها، يقول:

صبرا فصبرا فليس الوصل في "سَبَنِ" كلا لعمري ولا في "إيجِرَ ايجظَنِ"[77]

ولا "ذَكَدْنٍ" أكون أي "سِئْذَ" يكف لنا رب عليم بما في القلب من شجن[78]

إن الشباب الذي "تِنْتَكْنَ نَوبته" تِنْتَكْنَ والنُمْرَ عن تذكاره نِنَنِ[79]

ياليت ذا الدهر والانسان ذو عجل يرجعن أيامه "أوُفُورِنْ تِنْدَرَنِ[80]

أيام إذ نجتني "لِكْلَيّيَ" نجمعها حمراء أو نجتني من تُوْكَجَذِنْ جَكَنِ"[81]

---

[76] - هو ابوه بن اسياد الإجكوكي (ت1363هـ) أخذ عن يحظيه بن عبد الودود وهو شاعر اعتنى في ديوانه كثيرا بلزوم ما لا يلزم، ارتحل إلى السنغال وتوفي به، له ديوان شعري محقق.

[77] - كلمة "سبن" تطلق على شهر رجب باللغة الأمازيغية، و"إيجر" بمعنى الشهر و"إيجظن" الآخر. والمعنى أن الوصل قد لا يتأتى في رجب ولا في شهرآخر.

[78] - ولا ذا كدن بمعنى ولا في الدنيا، وأي سئذ بمعنى إذا أعطانا الله ذلك والمعنى،

[79] - تنتكن بمعنى مضت أيامه، والنمر بمعنى لما وننن نؤدب، والمعنى أن زمن الشباب الذي مضت أيامه لما ننصرف عنه بعد.

[80] - أو فرون: بمعنى إلى جهة ، وتندرن: الوراء، والمعنى أن الشاعر يتمنى عودة الشباب ورجوع الزمان إلى الوراء,

ومما يتنزل في هذا السياق قطعة للشاعر المختار بن أية الحسني[82] فقد وصف لنا بدقة كيفية استصلاح الأراضي وتهيئتها للحرث، وما يصحب ذلك من سغب وتعب وصعوبات، وقد أكثر في نصه من المزج بين التعابير الصنهاجية وبين الفصحى، يقول[83]:

بحرثي "شَأرَنْ" من أزارِكَ خُتّشت له "تُسْكَرَنْ تُجَّ الأذَاغِذَ" ألحما[84]

"فشدكته" لَيَّ "الأفيرك"شوكه "تُبَجْنِكُ فُوْشِي مِنْ غَوَارِبِهِ" دما[85]

فـ"سَمْرَيْتُهُ" لما بـ"إمِّيَ شُظّتُهُ" كما "سَنْدَرَتْ إذْفٌ سَرَاسِرَكُمْكِمَا"[86]

و"أكْبَيْتُ" فيه "بِالْوَجِيِّ مُنَضِّياً" "شْنُوتاً" و"شِيْكاً" منه "أكْرَيْتُ خُمْخُمَا"[87]

فأنبت أشواكا ثلاثا وأربعا وخمسا وستا ثم "إشّنْ" و"إتّمَا"[88]

فلما مضى شهر وأكمل "إفّهُ" تيممته إذ منه آمل مغنما[89]

وألسبت جذعا يشبه الشخص حوله لعيناً لدى جنب "الأفَيْرِكِ" عُمّما[90]

ومما يندرج في هذا السياق كذلك مقطوعة للشاعر محمد محمود بن احمذيّ الحسني[91] أورد ضمنها تركيبا أعجميا جاء بمثابة الملح والإيدام لنصه الغزلي الطريف، حيث يقول[92]:

---

[81]- لكلي: ثمر شجر معروف، و"تؤكجذن جكن": ثمر شجر معروف وهو بالحسانية "كرون أجكان"وكان من المطعومات الأساسية عند المراهقين ومن لا يجدون مأكلا..

[82] - لم نتمكن من ترجمته، والواضح أنه شاعر من بيت علم وفضل وشعر، عاش على ما يبدو في القرن الثالث عشر الهجري، وسمعنا أن له ديوانا شعريا.

[83] - مقابلة مع الشيخ عبد الله المختار بتاريخ:2012/02/07

[84]- في هذا البيت كلمات أعجمية منها: شَأرَنْ ومعناها شجر، و"أزارك" جمع "الزريك" وهو نبات فيه شوك شديد الإيذاء يشبه القتاد، و"ختشت" بمعنى قطعت، و"تسْكَرَنْ" شوك القتاد. و"تج" بمعنى تركت، والأذاغذ" الأصالة، والمعنى أن هذا الحرث به أشجار من النوع المذكور، الذي يشبه شوكه شوك القتاد، وقد أثر في أصابع اليد حتى تركها أشبه ما تكون بقطع اللحم.

[85]- و فيه كلمات من الصنهاجية، وهي شدكته بمعنى جمعته، والأفيرك تصغير "أفيرك" وهي الزريبة، وتبجنك، بمعنى بمعنى تنصب بشدة ، وفوشي بمعنى يدي، وغواربه، خدشاته، والمعنى

[86]- وفي هذا البيت كلمات أعجمية منها: "سمريته" أوقدت النار فيه، وإمي: بمعنى فمي، وشظته، نفخته، و"سندرت" أوقدت، و"إذف" بمعنى شهابا" وسراسر جمع سرسار، وهو نوع من النبات، وكمكم جمع، والمعنى

[87]- وفي هذا البيت من الكلمات الصنهاجية: أكبيت: شققت الأرض بالمسحاة لأبذر فيها، والوجي المسحاة، ومنضيا، مواريا البذر، وشنوتا، نوع من الدخن، الوشيك: الهبيد، وأكريت، أزلت والخمخم، هو التافه الذي لا نفع فيه،

[88]- وفي هذا البيت من الصنهاجية: إشن بمعنى سبعا، وإتما بمعنى ثمانية"

[89]- في هذا البيت من الصنهاجية كلمة إفه بمعنى نباته.

[90]- وفي هذا البيت من الكلمات المعجمية كلمة الأفريك، وهي بمعنى الزريبة. أما كلمة اللعين في البيت فهي فصيحة فهي فصيحة وتطلق على ما يتخذ في المزارع كهيئة رجل تدفع به الطيور.

[91] - هو محمد محمود بن احمذي الحسني، شاعر مجيد، وعالم مشارك، من بيت علم وفضل وصلاح، عاش في بحر

فما زال ذاك الوهم يهوي مغورا ويطوي الفلا طيا ويسبح في الظَّلَم[93]

إلى الجانب الغربي من حي أهلها فـ"بركت" و"اتخطيت دايرها هي فم"[94]

هنالك عَرْفُ الخود مسكا وعنبرا تضوع لي ما زلت "أأفورن أصّرم"[95]

ولا ننسى أن نورد في هذا المقام أبياتا للعلامة محمد فال (ببها) بن محمذن بن أحمد بن العاقل[96] أورد ضمنها لفظا أعجميا وهو كلمة: "يكذاك" التي بمعنى "يكفيك"، يقول:

يا قلب ويحك من ذي الْحِيلَ "يُكْذَاكِ" اسمع أنبئك قولا غير "تِزْمَاكِ"[97]

بأن ركب بني أسماء أخبرني ابن الحميد وكهل معه "مِتْلاَكِ"[98]

بأن مريم قد أمت مرابعها حول "الْمَسَابِيغِ" من دامل فـ"الصَّالِك"[99]

القرن الرابع عشر الهجري.

[92] - مقابلة مع الشيخ عبد الله المختار بتاريخ: 2012/02/07

[93]- الوهم بمعنى الجمل النجيب، مغورا مسرعا، والفلا هي الأرض الخلاء،

[94]- في هذا البيت كلمات من الحسانية منها بركت بمعنى نزلت، واتخطيت" بمعنى تجاوزت، ودايرها فم" أبحث عنها هنالك،

[95] - هذا التعبير أعجمي، وأأفورن معناه جهة، وأصرم: المنكس. والمعنى: أن رائحتها الطيبة غشيته وهو ما زال بعيدا عند منتهى تنظيف البيت وكناسته.

[96]- هو محمد فال (ببها) بن محمذن بن أحمد بن العاقل الديماني (1334هـ) عالم جليل، وشيخ محظرة، وشاعر متميز، برع في المنطق والسيرة، أخذ عن والده وعنه أخذ ابنه محمذن، وأحمد بن اجّمد، والبشير بن امباركي وغيرهم، من مؤلفاته: مرآه الصفا في أخبار المصطفى، ونظم الصحابيات ودمية المحراب فيما للقرآن من تصريف وإعراب، والمذاهب الأحمدية في ذكر الشمائل المحمدية، بالإضافة إلى ديوان شعري ومجموعة من الأنظام والفتاوى.

[97]- في هذا البيت من الصنهاجية كلمة يكذاك بمعنى يكفيك، وكلمة تزماك فهي حسانية وقد تكون لها أصول أعجمية، وهي بمعنى السب.

[98]- في هذا البيت كلمة متلاك وهي حسانية تفيد معنى التلاقي،

[99]- في هذا البيت كلمة مسادغ وهو موضع معروف ،وكذلك الصاك،

2- التعابير الصنهاجية تسلية وترويح

يحسن التذكير هنا بأن بعض الشعراء الشناقطة اتخذ من هذه التعابير الصنهاجية ملحا وإيداما للنص من خلاله يسلي القارئ ويروح عنه بعض الهموم والأتعاب، من ذلك مثلا أبيات الشاعر أحمدو بن أشفغ المصطف[100] التي يروي ضمنها قصة اقفائه أثر عجول ضلت الطريق، مصرحا أنه بذل ما في وسعه بحثا عنها حتى بلغ منه الجهد والتعب كل مبلغ، ومع ذلك لم يعثر لها على إثر ولا عثير فرجع إلى أهله منكسر الخاطر متعب الجسم، يقول[101]:

تسدبيت "أضْمَاكَ" العجول عشية ولوَّدْتُ حتى قلت "شُمُّشْ" "شُظِشْ" "مَرَكْ"[102]

فما "شِفْتُ" من عجل وما "رَيْتُ بَكْرَةً" وولّيْتُ من طول المسافة "أفْتَرَكْ"[103]

ومن النماذج المندرجة في هذا السياق قطعة للعالم محمذن بن أحمد بن العاقل الأبهمي[104] أمتدح خلالها سعي عشيرة أخواله اليدالين مسترجعا ذكرياته الطيبة بمنازلهم الميمونة، منتهيا إلى أنهم غرة الدهر وبيت القصيد، وعنوان اليمن والسعد، فهم القوم لا يشقى بهم الجليس، ويعرف لهم في جنب المكارم التغليس، ونحو الفضائل يعرف لهم التغليس، وقد استودع الرجل الشطر الأخير من أبياته كلمات أعجمية هي قوله: "إيس راز" و"إيس" غير "مرزون" ومعناها بالفصحى، حبة مطحونة وأخرى غير مطحونة، وقد عبر الشاعر بذلك عن جانب من تواضعه العلمي في حقل الإبداع الشعري، يقول[105]:

أودى اصطباري محض الجهل والمين لما نظرت إلى "أم الرُّوَيْصِين"

فتلك "تِنْيِلْفَ" لا تمرر بها أسفا وابك المنازل من "أتْوَيْدمَلّين"

ذاك المنار وقد لا حت به دمن مثلُ البواقيت من آل السعيدين

قوم سعيدون لا يشقى جليسهم مقالة رويت عن ناصر الدين

100- شاعر حساني معاصر، لم نتمكن من ترجمته.

101- مقابلة مع الشاعر والأستاذ التقي ولد الشيخ بتاريخ 25/01/ 2012

102- في هذا البيت كلمات من الصنهاجية منها أضماك وتعني أظن، وشمش بمعنى خمسة، وشظش بمعنى ستة ومرك بمعنى عشرة، والمعنى أن

103- في هذا البيت كلمة أعجمية هي أفترك وتعني متعب،

104- هو محمذن بن أحمد بن العاقل الأبهمي (ت1281هـ) فقيه وشاعر متميز، وصوفي، درس على والده وأخذ الشاذلية الناصرية عن محنض اغربط بن محمد النور الحاجي، وله علاقة خاصة بالشريف محمد الصعيدي، له شرح على وسطى السنوسي وشرح باب الحج من مختصر خليل، وديوان شعري.

105- مخطوط بحوزتنا

هم الجحاجح في عز وفي كرم　　هم البزاة همُ روض الرياحين

حلو الشمائل والإحسان ديدنهم　　بيض الوجوه هم شم العرانين

نفسي الفداء لأقوام إذا ذكروا　　كانت منازلهم بين السماكين

بهم نفاخر أهل الأرض قاطبة　　وهم لعمري حماة العلم والدين

هذا المديح بأبيات "مُفَنْجَرَةٍ"　　"فإيسُ رَازِ وإيس غير مروزن"

ونطالع أبياتا غزلية للشاعر سيد أحمد بن ما مين الديماني[106] يقرأ ضمنها السلام على محبوبته، مستحضرا بعض الرموز المتعارفة عندهما وبعض الإشارات الخاصة، متخذا لتجربته إطارا لسانيا يعلو على أفهام العامة وأذهانهم، فجمع في نصه بين اللسان العربي وبين اللسان الصنهاجي، وهكذا استودع أبياته عبارات أعجمية مثل: "امْتَاشَ ذَ امْدَرَر" التي تعني بالعربية هو المقصود عندي، وكذلك "آفُجّرِ" التي تعني بدء الشيء وانطلاقته لأول مرة، كما ختم الأبيات بعبارات من قبيل "اجّمر تُكْتَدَّ" التي بمعنى إن كانت تتذكر، وكذلك قوله: "اذْوَرْ تَشِرْ" و"يَمْجَشِرِ" ومعناه جملة أنها ينبغي أن لا تخلط بين أمور لا يحسن الخلط بينها، ولا يمكن الربط بين أجزائها، يقول[107]:

بلغ سلامي ولا يسمعك من بشر　　إلا التي حبها "امتاش ذ امدرر"

اعليه بالمارَ ما قد كنت أكتبه　　إش الغبار لها ضحى بـ"آفجّر"

اجّمر تكتَدّ ما في الكتب من حكم　　إذْوَرْ تَشِرْ أبدا ما ليس يَمْجَشِرِ

ومما يمكن أن يندرج في هذا السياق أبيات الشيخ أحمد بن سليمان الديماني[108] التي يزور ضمنها بعضا من أجداده وآبائه ملتمسا بركتهم ويمنهم ومتوسلا بما لهم من أعمال صالحة، يقول[109]:

جئت من بعد زائرا باركللاّ　　نجل قطب الهداة يُعْقُبَ نَلاّ

106- هو سيد أحمد بن مامين الديماني (1256 – 1349هـ) عالم جليل وشاعر أخذ عن أبي بكر بن محنض هايت من أهم آثاره منظومة في أسماء الله الحسنى، ومنظومة في أسماء العشرة المبشرين بالجنة، ومنظومة بسور القرآن بالإضافة إلى ديوان شعري.

107 - مخطوط بحوزتنا. كثير من الناس ينسب هذه الأبيات لمحمد بن أحمد يوره وأكد لي الأستاذ أبي بكر بن أمين أنها صحة نسبتها إلى سيد أحمد بن مامين الديماني، الذي عرفنا به، وأوردنا بالقطعة بإسمه اعتمادا على هذا التأكيد.

108 - هو الشيخ أحمد بن سليمان الديماني (ت1300هـ) عالم جليل، له مشاركة في الشعر، كان رئيسا مقدما في قومه، أخذ القادرية عن الشيخ سيديا الكبير، وله بعض المنظومات.

109 - نظم المدافن الشمشوية: مختار بن جنكي، تحقيق الأمير بن آكاه، مرقون، ص:77

نجل ديمان نجل يعقوب موسى ابـ ـن مهنض امغر ابن عامر نلاّ

أرتجي من زيارتي تي لجدي كلما يرتجيه "أَوْبَجَنَلاّ"[110]

أرتجي ذا بجاه كل نبي وبجاه الرسول "اِلْمِجِنَلاّ"[111]

ونقرأ لمحمد فال (ببها) المتقدم أبياتا يدفع من خلالها الروع عن نفسه وعن الآخرين من خطر بعض الأمراض الفتاكة المنتشرة على عهده مصرحا أنه يواجهها بالتوكل على الله معتصما بحبله ومحسنا به الظن، منتهيا إلى النقم قد تستبطن بداخلها نعما، وأن المحن قد تستصحب معها منحا، وهكذا يقول[112]:

أيها القلب بلها الظنون لا يهولنك "أيكم انيكنون"[113]

لا يهولنك واعتصم بإله ليس يرضيه منك سوء الظنون

ربما أزعجتك يوما شؤون والعطايا في ضمن تلك الشوؤن

ولا ننسى أن نسجل في هذا المقام بيتين للشاعر محمذن بن محمد بن أحمد سالم بن علي الأبهمي[114]، أورد ضمنهما كلمات من اللغة الصنهاجية مبتهلا إلى الله سبحانه وتعالى أن يسلك به خير سبيل، وأن ييسر له مراده من المطعم والملبس، يقول[115]:

يا رب "أأججنا" إلى خير "مأجج" وبارك لنا في كل ما فيه ننهج

ويسر لنا من فضلك الجم "أأججا" تطارد عنا كل جوع و"أوجج"

110- أو بجنلا بمعنى عبد الله.

111- إيمجنلا بمعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

112- شخصية العلامة محمد فال (ببها) : أحمدو بن محمدن بن حمينه، رسالة الماستر من جامعة شنقيط العصرية 2010م ص 14.

113- أيكم انيكنون: كلمتان من اللهجة الصنهاجية ومعناهما بالحسانية حب لكور. وهو مرض كان معروف في المنطقة ولعل مرض الزهري، فأيكم: الحب وإنيكنون لكور.

114 - هو محمذن بن محمد بن أحمد بن علي الأبهمي (1285-1348هـ) شاعر متفنن أخذ عن والده وعن أحمذ بن زياد، كما أخذ الطريقة القادرية على الشيخ أحمد بن الفاضل الأبهمي (ت1319هـ) له مؤلفات منها رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظم السلسلة القادرية، بالإضافة إلى ديوان شعري محقق.

115 - تحقيق ديوان العلامة محمذن بن محمد بن أحمد سالم بن علي الأبهمي، إعداد الطالب مولاي بن المختار، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية:2006-2007، ص:39.

الخاتمة:

وصفوة القول، إن التعريب آلية معينة على إثراء الوحدات المعجمية وتوسيعها، كما أنه أداة لتلطيف الأساليب الشعرية وتطويعها، وهو إلى ذلك مظهر من مظاهر التسلية والترويح وملمح من ملامح التورية والتلويح، فمن خلاله تمتح اللغة من جاراتها مقتبسة من تجارب الأمم وتجاراتها، وبفعله يتم التمازج والتواشج بين مختلف الألسن والثقافات تجسيدا المبدأ التوارد والتقارض، وهو ما تجلى بوضوح في مدونات هذا الجهد التي احتضنت في تضاعيفها جملة من الألفاظ الصنهاجية جاءت زينة ووشاحا، فكأنما هي صبغ إدام أو ملح طعام، يمنح النص مزيدا من الإمتاع والإحكام ليبرز في شكل سبيكة لسانية بديعة تجمع الصنهاجي إلى الفصيح في بناء فني رفيع ونغم عروضي مؤثر، ينتظم اللسانين كي يتحدا في بنية واحدة ويصالحا بينهما صلحا تندغم فيه الفروق وتندمج فيه العروق، فيلوح لناظرك إنشاء شعري رفيع يستبطن في طياته طعم ذبح لذيذ ومذاق عجل حنيذ.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة

أحمد بن الأمين، (2008)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي الطبعة السادسة القاهرة.

أحمد بن الحسن، (1995)، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط 1 ليبيا.

ابن منظور، (دون تاريخ)، لسان العرب، دار صادر بيروت.

المختار بن حامدن، (1997)، موريتانيا، الجغرافيا، معهد الدراسات الإفريقية.

فتح الله سليمان، (2008)، دراسات في علم اللغة: مكتبة الآفاق العربية القاهرة.

أحمد محمد المعيوف، (1999)، المعاجم اللغوية العربية، المجمع الثقافي الإمارات أبوظبي.

الرسائل الجامعية

مولاي بن المختار، (2006-2007)، تحقيق ديوان العلامة محمد بن علي،المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 2006 -2007

بالإضافة إلى مجموعة من المخطوطات الخاصة والمقابلات الشخصية